

من أجيال الصحابيات

٢

«رأي الرميمصاء في الجنة»

لأم سليم بنت ملحان

الزوجة المؤمنة

تأليف
حنان حاتم

تجد عدداً من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com



ام سليم بنت ملhan



الطبعة الأولى

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الثقافة للجميع

دمشق ص.ب ٥٠١٦

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونصلي ونسلم
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد .. فان من الامور السلبية التي ساهمت وما زالت
تساهم في تحريف العالم الاسلامي : تلك النظرة الخاطئة إلى المرأة
ودورها في الحياة .

وإن تعاليم الاسلام برئته مما وصل اليه المسلمون من تحريف
في عصور الجهل والانحطاط ، ولا سيما تحريف المرأة وتدني مكانتها
الاجتماعية .

لقد كان الجهل سبباً رئيسياً في الابتعاد عن روح الشريعة
الاسلامية السمححة ، والانجراف بتيار التقليد الاعمى ؛ تيار
الجاهلية او التعاليم الدخيلة على الاسلام .

وذلك التقليد والتعاليم ليست من روح الشريعة في شيء ، بل
كانت حاجزاً صفيقاً فصل المسلمين عن حقيقة الاسلام ، وكانت
المرأة إحدى ضحايا هذا الجهل والفصل .

فالمرأة في العالم الاسلامي - في وقتنا الحاضر - عضو مشلول
لا يؤدي وظيفته التي خلق من أجلها . ومع ان مشكلة العطالة في
العالم الاسلامي تهم الرجال والنساء ، لكنها بالنسبة للمرأة اكبر

أو جارية ، أو كلتاهم معاً .

وكنت أتألم لباتنا اللواتي حرمن من أخبار الصحابيات ..
جداتهن اللواتي اشتهرن في تشييد الحضارة الإسلامية وساهمن في
بناء المجتمع الريادي الأول .

إن بناتنا وابناءنا أيضاً في أشد الحاجة إلى من يخرج لهم المرأة
المسلمة الأولى من عالم النسيان إلى حيز الوجود كي يدركوا الدور
الذى قامت به ، ويعرفوا الفارق بينه وبين صورة المرأة الآن .

إن دراسة هذه الاخبار وتأملها تفتحان آفاقاً جديدة أمام
المرأة المسلمة الجديدة وتغيران من نظرها الخاطئ إلى دورها في
الحياة بل ومن نظرة المجتمع الخاطئة إليها ، إذ أن المجتمع لا يحترم
المرأة طالما أنها تحافظ على دور الدمية ، أو الجارية ، ولا ينظر
إليها بعين الكرامة طالما أنها لم ترتفع إلى مستوى الكرامة والمسؤولية ،
فالتحفيز الخارجي لأحوالها ، لا يتم ما لم يسبقه تغيير داخلي
في نفسها :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »(١)

هذه هي الخطوة الأولى في التغيير ..

والخطوة الثانية هي أن يدرك المسلم أهمية دور المرأة : كأم
تربي أبناءها تربية إسلامية ، وكزوجة تشارك زوجها متابعة الحياة
وتحثه على المضي في طريق الدعوة إلى الله مهما لاقى من عقبات .
إن المرأة التي لا يهتم الرجل برفع مستواها وإشعارها بكرامتها

(١) سورة الرعد ، الآية (١٣) .

ودورها ، ستقف عائقاً في وجهه إن حاول أن يؤدي دوره الذي
كلفه الله به بدلًا من أن تدفعه وتدعمه وتساهم معه .

أيها المسلم : الا تمنى أن تقول لك أمك كما قالت نبية
لابنها بعد أن ضممت جرحه في أحد : قم يابني وقاتل دون
رسول الله ..

أيها المسلم : الا تمنى أن تقول لك زوجك عند المحنـة كما كانت
تقول خديجة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
(يا ابن عم أبشر وابتـت فوالله إـنك على الحق ، والله ما يخزيك الله
إبداً ، إـنك لتصلـ الرحم وتحـمل الكلـ وتـكـسبـ المـعـدـومـ) .

أيها المسلم : إنـ هـذـاـ مـنـ حـقـكـ ،ـ لـكـنـ لـنـ تـصـلـ إـلـىـ هـذـاـ حـقـ
ماـ لـمـ تـؤـدـ وـاجـبـ نـحـوـ الـرـأـةـ الـسـلـمـةـ أـوـلـاـ :ـ آـنـ تـشـعـرـهاـ بـكـرـامـتـهاـ
عـنـدـ اللهـ وـدـورـهـ الـذـيـ يـجـبـ آـنـ تـقـومـ بـهـ .

وبعد ، فانتـيـ اـقـدـمـ هـذـهـ القـصـةـ فـيـ هـذـهـ النـاسـيـةـ رـاجـيـةـ مـنـ اللهـ
آنـ تـحـقـقـ تـقـدـمـاـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ .

وقد اتبعت في إخراج هذه الأخبار شيئاً من التصرف في
الحوادث والاقوال لشعورـيـ بـانـ ذـلـكـ سـيـكـونـ أـكـثـرـ فـائـدـةـ ،ـ وـتـسـهـيلـاـ
عـلـىـ عـامـةـ القراءـ ،ـ وـلـاـ اـظـنـ أـنـ هـنـاكـ حـرـجاـ فـيـ ذـلـكـ ،ـ فـالـصـحـابـةـ بـشـرـ
مـثـلـنـاـ نـسـطـعـ أـنـ شـعـرـ بـمـاـ شـعـرـواـ وـتـحـدـثـ عـنـ مشـاعـرـهـ ..ـ ثـمـ
إـنـيـ وـضـعـتـ النـصـ الـاـصـلـيـ الـوارـدـ فـيـ كـتـبـ السـيـرـةـ اوـ الـحـدـيـثـ دـاـخـلـ
قوـسـيـنـ صـغـيرـيـنـ كـيـ يـتـبـهـ القـارـيـءـ إـلـىـ مـوـضـعـ التـصـرـفـ .

اللـهـمـ إـنـ هـذـهـ مـحـاـوـلـةـ أـقـوـمـ بـهـ آـدـاءـ لـبعـضـ مـاـ عـلـيـ مـنـ وـاجـبـ ،ـ
وـأـقـدـمـهـ مـعـ شـعـورـيـ بـقـصـورـهـ رـاجـيـةـ مـنـكـ الـعـونـ وـالـتـوـقـيقـ .

« ربنا تقبل منا إـنـكـ أـنـتـ السـمـيعـ الـعـلـيمـ .

ربـناـ وـاجـعـلـنـاـ مـسـلـمـينـ لـكـ ،ـ وـمـنـ ذـرـيـتـنـاـ أـمـةـ مـسـلـمـةـ لـكـ »

لوحة من العجالة

يشرب ... المدينة الجميلة التي تحيط بها اشجار التخيل ،
وتتخللها كروم العنب وحدائق الفاكهة المختلفة .

يشرب ... واحة العرب الظليلة .. كانت منذ مدة مرحأ
للنزاع والحروب بين الاوس والخزرج .. تلك العرب الطاحنة
التي كانت اليهود تضرم نارها بين ابناء العم لافته الاسباب كي يظلووا
في ذل وضعف دائم امام جشع اليهود وتسلطهم .

كانت الاوس والخزرج قبيلتين من قبائل العرب رحلتا من
اليمن ثم استقرتا في يشرب . وكانت اليهود جرائمهم فيها . واليهود
في كل زمان ومكان لا يفكرون إلا بالمال والسيطرة ، ويرتكبون في
سبيل الوصول إليهما أبشع الجرائم ، ويحتالون ويدبرون المكائد
لم حولهم ليوقعوهم في الصراع فيصبحوا في شغل دائم بعثاكلهم
ونزاعهم ويففلوا عن خطر اليهود وتسلطهم وتوسيعهم .

ولم يكن لدى العرب في جاهليتهم الدين الذي ينظم لهم
معاملتهم فيما بينهم ويضع لهم قواعد الاخلاق التي إن تمسكون بها
استطاعوا أن يصلوا إلى حياة هادئة مستقرة .. بل كانت عقولهم

تُخضع للتقليد والخرافة والأساطير والأوهام .. حتى عبدوا الأصنام وال أحجار . أما حياتهم فينغلقون فيها وراء أهوائهم وشهوائهم ، فالقوى المسلط يعيش على حساب الضعفاء ويتربّه ويتنعم ، بينما يحرم العبد والضعف من كل شيء . كما أنهم ما كانوا يؤمنون بِيَوْم الحساب بل ينظرون إلى الدنيا على أنها هي كل شيء .. فالسعيد من يحصل أكبر اللذات في حياته ولو بالقتل والنهب والسرقة . ولهذا كانت حياة كثير من القبائل في الجزيرة العربية تعتمد على الإغارة والسلب لغيرها من القبائل .

هذه الحياة الخالية من الإيمان بالله واليوم الآخر . الخالية من الدين الإلهي الذي ينظم للناس حياتهم ويرسم لهم حدوداً ينبغي أن لا يتجاوزوها .

هذه الحياة الخاوية إلا من طلب اللذة والسلط .. جعلت تكاثر اليهود تنجح في الإيقاع بين الأوس والخزرج .. فلا تكاد تنتهي الحرب بينهما حتى تبعث من جديد .

ومع أن اليهود كانوا أصحاب دين سماوي ولديهم كتاب من الله يأمرهم فيه بالعدل والاستقامة وينهيا عن الظلم والعدوان والخداع .. إلا أنهم تركوا أمر الله وآثروا عليه حب المال وشهوات الدنيا .. لذلك غضب الله عليهم ولعنهم إلى يوم القيمة لأنهم ظلموا وكفروا بعد أن جاءهم العلم وبعد أن بين الله لهم طريق الصواب .

هكذا كانت الجزيرة العربية تعيش في جاهلية .. وهكذا كان

اليهود وكيدهم .

- ٤ -

هل المرأة دمية؟!

.. لكن يشرب اليوم تبدو هادئة .. ويغدو أهلها والسعادة تبر
وجوهم .. لقد استطاعوا أن ينسوا الحرب والنزاع وعاد إليهم
الامن والسلام وكانهم قد وجدوا لمشكلتهم حلاً .. فما هو السر
يا ترى ؟ !

لقد وصلت اشعة من نور الإسلام إلى يثرب فبددت ظلام
الغفوس ومحى الاحقاد منها وفتحت القلوب فقادتها إلى نور الله .

وها هو مصعب بن عمير مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم
إلى يثرب يجلس في نواديها ويتجوس خلال بيوتها وبساتينها يدعو
الناس إلى الله ويتلوا عليهم آياته ويعلّمهم أحكام الإسلام وآدابه
ويفرس فيهم مبدأ المساواة أمام الله فلا تبقى افضلية إلا للتفوى ..
ويعلّمهم الأخوة في دين الله التي تفوق أخوة النسب في قوتها
وتعاسكتها .

* * *

وفي صباح ذلك اليوم خرج مالك بن النضر من بيته ووجهه

- ١٢ -

بتاجع غضباً . ووقف برهة امام الباب، ثم التفت نحو البيت مائحاً:

— إذن فقد آمنت بهذا الصابيء وتركت دين آبائك وتمسكت
بضلالك .. ولكنك ستندمدين على عنادك هذا .. وستربين ..

وشقق الباب خلفه بشدة وانطلق لتوه مجهاً بغير أله ومرتحلاً
عليه إلى الشام .

وفي داخل البيت جلست أم سليم مطرفة تفكّر ، وإلى جانبها
جلس إبّها أنس الذي لم يبلغ العاشرة بعد ينظر إليها بوجوم .. إنه
يعرف السبب الذي أغضب أباها .. لقد ثار الآباء منذ أن علم بدخول
زوجته أم سليم في الإسلام . وزادت ثورته عندما تمسكت بدينهما
ورفضت أن ترتد عنه .. بل كانت تدعوه أن يتركها أصنام آبائه ليعبد
الله رب العالمين . ولم يترك مالك بن النضر وسيلة لرد زوجته عن
الإسلام إلا وجربها .. ولكن دون جدوى ، فقد كان الإيمان بالله قد
تمكن من قلبها وكانت تدعو زوجها طامعة في إسلامه ، ولطلاها سمع
ذلك الطفل أمه تقول لأبيه :

— يا مالك كيف تعيد الحجارة والأشجار وهي لا تملك لنا
ضراً ولا نفعاً ..؟ وترك عبادة رب العالمين الواحد الأحد الذي خلقها
وخلق كل شيء لا .

يا مالك ابن الله قد أرسل لنا رسولاً يتلو علينا آيات ينبع
تهدى إلى الحق والبر وترسم للإنسان طريق السعادة ..

يا مالك إبني أخشى عليك يوماً يقف فيه أمام الله فتعجز هذه

وأمن به وبرسوله .

ولكن مالك كان يقابل هذا النصح بالثورة والانفحة وكان
يُصْبِحُ بِهَا :

— انسقتهن عقلٍ وعقل آياتي ..!

أتريدين مني أن أقف إلى جانب العبد الحقير من قومي لاكون
معه على قدم المساواة !! وأي ذل اعظم من أن يضع الرجل الشريف
رأسه على الأرض ليصلّى لرب محمد ؟!

فتقول أم سليم متوجهة :

— كيف تائف من السجود لرب العالمين وترضى أن تكون عبداً
للشيطان . إن الذي يسجد لله يتحرر من كل مَسْقَار .. والذى يأنى
السجود لربه هو العبد الذليل للهوى ، أو للمال .. وهو الشقي
المحروم .

فيقاطعها ثائراً :

— يا للنعزى .. ! مني كانت النساء تهتم بمثل هذه الامور ؟!
ومنذ متى كانت المرأة تسفة رأي زوجها ؟!
اتظنني أني فقدت عقلٍ حتى أطعن رأي امرأة ؟!
واللات والعزى لئن لم تنته عن سفاهتك هذه ليكون لي معك
شأن آخر .

نعم إن الطفل أنس بن مالك يعي كل ذلك ، ويعرف أن إباء
كان على باطل .

اما أم سليم فقد كانت سارحة في عالم آخر .. عالم الذكرى
البعيدة الذي أثارته غضبة زوجها واستكباره في هذا اليوم .

لقد تذكرت حادثة اليمة كانت قد رأتها في صباحها الباكر ،
وحدثنا ملؤه الشجن طالما فكرت فيه وأفقلتها ذكراه ..

لقد كانت في ذلك اليوم صبيّة في أول تفتحها ، وكانت عائدة
مع بعض أترابها من طرف المدينة حيث كنْ يساهمن ببعض أعمال
في بساتين أهلهن . عندما سمعت أبينا ينبعث من أحد جانبي
الطريق .. فاسرعت أترابها خائفات إلى بيوتهم .. لكنها وجدت
نفسها مدفوعة نحو الصوت يخالجها الإشراق والحنر والفضول .

وخلف صخرة كبيرة تقف وسط السهل الممتد على جانب
الطريق كشفت سر الآنين إذ ما كادت تقترب من الصخرة حتى
سمعت بكاء وليد جديد .. ثم رأت امرأة جالسة إلى جانب حفرة
وبين يديها طفلة عارية قد ولدت لتوها . فقالت في نفسها : إذن
كانت المرأة تئن في مخاضها وهي الان قد وضعت ، فلامكت قليلاً
فقد تحتاج إلى مساعدة .. ولكن .. ما بال المرأة تضع ابنتها في
الحفرة ؟! يا إلهي ها هي تهيل التراب بكلتا يديها فوق الطفلة ،
وها هو صوت بكاء الطفلة يتلاشى ..

إن أم سليم تذكر كيف سرت في جسمها رعشة رعب قوية

التراب و تستخرج الطفلة من حفريتها ، ولكن بعد فوات الاوان ..
لقد ماتت الطفلة .. لقد قتلتها امها ..

ورفعت ام سليم - الصبية - عينيها الى الا مبرعب .. ولكن
الام كانت ذاهلة حامدة ..

وصاحت الصبية :

- لم قتلتها ؟ اليست ابنتك وقطعة منك ، كيف فعلت ذلك؟!

تهدت الام وقالت :

- تلك اوامر سيد الدار .. وهل تستطيع امراة ضعيفة مثلى
ان تخالف امر السيد القوي ..

- ولم يأمر الاب بقتل ابنته ؟!

- لانه لا يريد بناتها ضعافا يحمل عبء معيشتهم .. بل يريد
اولادا ذكورا يتكاثر بهم في قومه ويمنحونه العزة والمنعة بين الناس .
وسكتت الام قليلا ونظرت الى وجه الصبية الذي اكتس
بالرعب والالم .. وانطلقت من صدر الام زفرات حارة وقالت :

- انه لؤلئ ومرعب حقا ان يرعى الحيوان صغاره بحنان بينما
يدفن الانسان اولاده احياء ...؟! ابن الوحش يفترس ليسد جوعه ،
اما الانسان فيفترس الغنماء ليزداد جاهها ومالا ويمضي في
جشع لا ينتهي ..

فأخذت الصبية عندها تبكي بحرقة ، فربت الام على كتفها

وقالت :

— لا تبك .. فلقد أقيمت ابنتي إلى الأرض لتبتلعها وانا اشعر
بان الموت ارحم لها من حياة تسام فيها انواع الخف والهوان .
إن الفتاة تعيش في بيت أبيها مهملة لا دور لها ولا كيان حتى اذا بدا
لأبيها أن يزوجها ياعها لم يدفع له مالاً أكثر دون أن يكون لها
رأي .. وتدخل بيت الزوج لتكون دمية تتزين بأنواع الحلي
والملابس .. لا كرامة لها ولا احترام .. إن هي إلا دمية جميلة
اشتراها الرجل للمتعة والتسلية ..

وإنها لست الحياة .. كلما اتبع الإنسان هواه وخضع لنطق
القوة ظهرت المرأة الدمية في البيوت وفي الطرقات بزيتها وحللها ..
تحرك كما يريد لها سيدها الرجل أن تتحرك .. إنها دمية جميلة
مزركشة ، ولكنها للاسف خالية من كرامة الإنسان ، فاقدة
حياتها .. إنها جسم فقد روحه وضل عن هدفه وعن غاية
وجوده .. إنها لا تعرف لنفسها هدفاً سوى أن تحرك غرائز الرجل
وتشبع نهمه ..

وقفت الام تلتقط انفاسها .. والصبية ساكنة واجمة تستمع
إليها وقد جف دمعها .. وتابعت الام :

— وبعد .. إذا مات عنها زوجها جاء ورثته فوضعوا أيديهم
عليها وورثوها كما يورث المال والمتاع .. فاما ان يتزوجها الوارث
ليستولي على مالها .. او يزوجها من يشاء ويأخذ مهرها لنفسه ..

— الا يحاول احد ان يمنع هذا الظلم !؟

فتنهد الام قائلة :

— يحاول بعض الاخيار ذلك . فإذا سمعوا برجل بريء واد ابنته سعوا اليه وكفلوها عنه . ولكنهم قلة ، تضيع أصواتهم بين الجموع الضالة الفاسدة .. وتظل المرأة في هذا الذل والهوان .. الم أقل يا فتاتي إن الموت ارحم لابنتي من هذه الحياة !!

تذكرت ام سليم تلك الحادثة واستعادت في ذاكرتها ذلك الحديث في ساعتها هذه وهي تجلس واجهة مفكرة في موقف زوجها، وانكاره عليها ذلك التفكير الجديد الذي طرأ عليها .. لقد أزعجه أن يراها تهتم وتفكر وتسعى للقيام بدور جديد يختلف عن الدور التقليدي الذي كانت تقوم به المرأة .. وها هو ذا يتركها مطلقة لا هي زوجة ، ولا هي مطلقة فماذا تفعل !؟

وشعرت ام سليم بهم "كبير يجثم فوق صدرها ، وكأن" ظلام نقيلاً لحياة فاسية يزحف نحوها ..

وتصحو من أفكارها على يد صغيرة تمتد فتمسك يدها .. فتلتفت إلى الوجه الصغير البريء الذي كان يحدق بها وتسمعه وهو يناديها :

— أماه هل هجرنا أبي ولن يعود !؟

وتسكت أم سليم ببرهه وهي تمر بيدها الحانية على رأس انس وتقاوم دموعاً تكاد تفلت من عينيها .. وتجيبه بصوت يبدو فيه الاسى :

— نعم يابني . . لقد هجرنا ابوك ولا يعلم أحد إلا الله متى يعود .
فيرفع انس راسه الصغير بثقة وينظر إلى امه بعينين يشع
منهما بريق اخاذ :

— لا تحزنني يا أماه ، إن الله الذي آمننا به لن يتخلّى عنا ..
او ما كنت تقولين لي أن الله ولي الذين آمنوا يتكلّل بهم ويرعاهم
ويرزقهم وينصرهم ويكون معهم في النّدّة كما كانوا معه في الرّحاء؟!
فتنهل عنندّه وجه أم سليم حين سمعت قول ابتها ، واحتاطه
بذراعها بحب واعتزاز وقالت له ودموع الفرح تملأ عينيها :
— بلى يا بني .. « الله ولي الذين آمنوا .. » (١) ولن
تتخلّى عنا ..

لقد كان هذا هو أول العزاء . إن لها ولداً مؤمناً تأمل فيه كل خير وترجو أن تنشئه على حب الله ورسوله وطاعتهما .

٢٥٧ - ﴿١﴾ سورة البقرة الآية

نهاية مالك

وتمضي الأيام وام سليم صابرة راضية تعيش حياة الإيمان مع ولدها أنس .. لقد كانت سعيدة بالإسلام ويولدها المؤمن الذي تنظر إليه بآمال كبيرة .. ومن يتذوق حلاوة الإيمان وسعادة الحياة في رضى الله ، لا يهتم لما يصيبه من أذى في سبيل الله . لأن حلاوة الإيمان أعظم من كل أذى ، ورضى الله أغلى من رضى الناس .

* * *

وذات يوم يقرع باب أم سليم وإذا بالباب رجل من يشرب قادم من سفر له بالشام يخبرها أن مالك بن النضر قد مرض في الشام .. ثم مات .

وتدهش أم سليم لهذا الخبر وتسأل بهفة :

ـ أحق ما مات مالك .. !؟!

ـ فيجيب الرجل متأثراً :

ـ اصبري يا أم سليم ، فالأجال بيد الله .. ولقد لقيت من سوء معاملة مالك ما هو كفيل بأن يخفف من حزنك عليه ..

ـ ولكن ! مسليم تتابعـ وكتأتها لم تسمع قول الرجلـ بصوت متهدج بالك :

- احْقَى مَاتِ مَالِكٍ مُشْرِكًا .. احْقَى مَاتِ قَبْلِ أَنْ يَدْخُلَ فِي
رَحْمَةِ اللَّهِ .. إِنَّا لِهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .. وَاحْسِرْتَاهُ ، لَقَدْ خَسِرَ
مَالِكٌ خَسِرَانَا مُبِينًا .

- ٤ -

انس خادم رسول الله

يشرب منذ أيام تهتز فرحاً .. ويخرج أهلها في كل يوم إلى
ظاهر المدينة يتطلعون إلى الطريق بلطفة وشوق . لقد وصل إليهم
نبأ خروج محمد صلى الله عليه وسلم مهاجراً من مكة إليهم ، فهم
ينتظرون قدومه ويراقبون الطريق التي سيجيء منها كل يوم ..
وتأتي الساعة المباركة .. وينطلق صوت البشري في أرجاء يشرب:
— لقد وصل رسول الله ..

وتهتز المدينة كلها ويخرج الرجال والنساء والأطفال لاستقبال
الصيف الكريم .. وتنطلق الحناجر مرحبة بالنور الجديد الذي غمر
يشرب وكشف لها طريق الحق والسعادة .

ويقيم النبي صلى الله عليه وسلم في يشرب التي تصبح مدينة
الرسول فسميت المدينة .. ويشرع النبي الكريم في تنفيذ اعماله
في المدينة بادئاً بالتوأمة بين المهاجرين والأنصار .. ذلك الإباء الذي
ما شهد التاريخ له مثيلاً .

يتنافسون ويتسابقون على مؤاخيه المهاجرين .. حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلتجأ إلى الفرقة بين الانتصار على كل رجل من المهاجرين . ثم يأخذ الانتصاري أخاه المهاجر إلى داره فيقاسمه داره وماله ..

لقد استطاع الاسلام أن يغير النفوس ويمحو منها الانانية والطمع ويفرس فيها الحب والإيثار .. استطاع الاسلام أن ينشئ مجتمعاً متماسكاً متألفاً من اناس قضوا عمرهم في الحروب والاحقاد والانانيات . وتلك نعمة كبيرة احس بها الانتصار فتمسكون بها وحافظوها عليها .. بينما الهبت هذه النعمة احقاد اليهود وملات قلوبهم غيظاً فبدأوا سلسلة من الكيد المستمر داخل الصفوف للتفريق بين الاخوة ولتفكيك هذا المجتمع الفتى المتماسك .. ولكن رعاية الله وسهر النبي القائد كانوا كفiliين باحباط هذا الكيد .

* * *

وتأتي ام سليم بولدها انس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكلها امل ان يقبل النبي رجاءها .. فلقد اهتدت إلى طريقة تضمن فيها لانس تربية رائعة وتزوده بعلم غزير ..

فتدخل ام سليم على النبي صلى الله عليه وسلم وتقول :

— (يا رسول الله ، هذا ولدي انس يخدمك) ..

فيفهم النبي صلى الله عليه وسلم قصدها وينسره بآنس لما يرى
فيه من ذكاء وصفاء نفس .

ويلازم آنس النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم ويخدمه
طيلة حياته حتى عرف بخادم رسول الله .

يقول آنس :

- (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما
قال لي شيء فعلته لم فعلته .. ولا شيء لم أفعله لم تفعليه) .
هكذا كانت طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربية
الصحابة تربية عملية استقلالية يشعرون فيها بذواتهم ويطبقون
كل خلق حسن من تلقاء أنفسهم وبمحض إرادتهم بعد
اقتناعهم به .

وعلماء التربية الآن صاروا يتحدثون عن اللوم كأسلوب فاشل
في التربية والتعليم . وان اهم شيء في المربى هو ان يكون قدوة
حسنة . وعليه ان يعامل الناشئ معاملة تسمح له بمشاهدة عواقب
أعماله ومحاكمتها .. عند ذلك يصبح الناشئ قادر على الاعتراف
بخطيئه والرجوع عنه .. وعندها تكون قد نجحت في وضعه على
طريق النضج والتكامل .

مهر فرید

ويدخل انس ذات يوم على امه قائلاً :

ـ امه .. ابو طلحة زيد بن سهل يستاذن في خطبتك زوجة
له .. فماذا تقولين ؟

وكان ابو طلحة رجلاً يعرف في المدينة بالتجاهة والنبل
وكترة المال . ولكن لما جاء يخطب ام سليم كان مشركاً بعيداً عن
الله ورسوله .

فالتفتت ام سليم نحو ابنتها مستقربة :

ـ ابو طلحة .. إنه مشرك ..

وتسلكت قليلاً ثم تقول :

ـ إنذن له بالدخول يا انس .

وهررت ام سليم راسها باسف وهي تقول في نفسها :
ـ اسفاً على أبي طلحة .. أما زال يعبد تلك الشجرة التي
يسمونها « العزمي » !!

ودخل ابو طلحة برفقة انس محياً .. ولا جلس بادرته
ام سليم :

ـ (يا ابا طلحة ، الست تعلم ان إلهك الذي تعبد تبت من
الارض !!)

- (يللي ٠٠)

- فهل هذه الشجرة التي نبتت من الارض هي التي خلقت السموات والارض ؟ وهل هي التي خلقتك ورزقتك ؟ ام هي التي تميتك وتحببك !؟

يا ابا طلحة ، لو جئت بفاسدك الى إلهك هذا تطلب قطعه فهل يستطيع ان يمنع نفسه منك ؟! (اقما تستحي ان تعبد شجرة) !؟

فاطرق ابو طلحة مفكرا ثم قال :

- فكيف عبدها آباءنا واجدادنا ..! وكيف ينسقه الانسان آباءه واجداده !؟

- فإن كان الشيطان قد زين لآبائنا الباطل وأغواهم حتى أوقعهم في غضب الله .. فهل من العقل أن تردى معهم ونغمض عينينا عن الحقيقة مؤثرين رضاهم على رضى رب العالمين !؟

ويطرق ابو طلحة مفكرا .. وتتابع أم سليم :

- يا ابا طلحة والله ما يخفى عليَّ بذلك وعلو مكانتك .. لكنني آمنت بالله ورسوله واتبعكت الكتاب الذي انزله الله اليه ، وإنني بعد ذلك لا اهتم مال ولا جاء ، بل إن دخولك في الإسلام لا يقدر بمال .. فالمال يفنى ويزول والإيمان بالله يغني في الدنيا وبه النجاة في الآخرة . وليس الفقر الذي لا مال له ، ولكن الفقر حقا من لا خلاق « لا نصيب » له عند الله ..

وتسكت قليلاً ثم تقول :

ويرفع ابو طلحة راسه نحوها مدهوها والإكبار يملا نفسه ..
ثم يسالها :

— ولكن ما هو هذا الدين وما الفرق بينه وبين دين آبائنا ؟
— الفرق كبير واسع .. إن الذي يؤمن بالله يدركغاية التي
خلق من أجلها .. لانه يفهم قول الله تبارك وتعالى :
« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قادر . الذي
خلق الموت والحياة لي Gloverكم ايكم احسن عملاً وهو العزيز
الفغور » (١) .

إن الذي يؤمن بهذا الدين يمتنع عن الظلم لانه يؤمن يوم بعد
الموت يجمع الله الناس فيه ليحاسبهم على ما فعلوا في الدنيا ثم
يعطي كل إنسان جزاء اعماله فاما حياة خالدة في النعيم إن كان من
المحسنين .. واما حياة خالدة في نار جهنم إن كان من الظالمين ..

إن الذي يؤمن بهذا الدين يعيش سعيداً مطمئناً لانه يعرف من
أين جاء ولماذا يعيش وإلى أين سينتهي ..

كان ابو طلحة مأخوذاً مدهوها لما سمع من ام سليم ، وشعر

(١) سورة الملك . الآية ١ - ٢ .

بان الامر اخطر من ان يتسرع فيه فائز ان تكون له مهلة للتفكير
فنهض مستاذنا وقال :

— (حتى انظر في أمري) يا ام سليم .
— كما تشاء يا ابا طلحة .

خرج ابو طلحة حائراً متوجباً مما سمع .. انه لم يسمع قبل
الآن بمثل هذا المهر الذي طلبتني ام سليم ، ولا شهد امراة قبل اليوم
يعرض عليها المال والجاه فتاباها وتطلب شيئاً آخر وهو الدخول
في الاسلام . . . !!

فهل الإيمان بمحمد وربه اغلى من كل مال وجاه ؟!
هكذا كان يسأل نفسه وهو في طريقه الى داره .. وفكراً في
حياته الماضية .. لقد كان شقياً ، ولم تستطع هذه الاموال الطائلة
التي يمتلكها أن تخرجه من شقائه .. كان شقياً ضائعاً لأنه لا يعرف
من أين جاء ، ولماذا يعيش ، وإلى أين سينتهي . . . ؟

كان يرى الناس امامه يعيشون ظالمين او مظلومين .. ثم
يموتوا الطالم والمظلوم ويتهيى الامر دون ان يتحقق العدل . . . !!

كان يحس برعب كبير كلما رأى جنازة .. وكان يقول في نفسه:
— لماذا جئنا ابن كان الموت هو النهاية الاخيرة . . . !?
ربما لهذا الإنسان ، الا تزيد حياته عن حياة الحيوان بشيء . . . !
وكان كثيراً ما يلجا إلى صتمه في ساعات الضيق لعله
يجد جواباً . . .

صيحة لها إبي نوادي وف بيت المطر ستر دمسي د
التفاهة تفرق الحاضرين وتشغلهم عن البحث عن أي معنى كريم
للحياة .

ويصل أبو طلحة إلى داره ويلتفت نحو تضب العزى الذي جعله
 أمام داره يطوف به كلما خرج من الدار وكلما عاد إليها .. ولكن
 ما باله اليوم يقف أمامها جاماً وقد كان يسرع إليها من قبل
 فيطوف بها خائعاً مصلياً .. ؟! ما باله يحدق بها مفكراً .. !؟

ولبث مدة يحدق في هذا التمثال الحجري لشجرة كبيرة ..
 هذه هي العزى التي كان يعبدنا .. والتي عبدها من قبل آباوه
 وأجداده .. هذه هي العزى التي عجزت عن إنقاذه من ضياعه فهل
 تستحق أن تكون إليها يعبد .. ؟! وهل كان آباوه في خلال
 وسفاهة .. !؟

وشعر أبو طلحة بالتعب والحزن فجلس على مصطبة له أمام
 داره .. وأاسد وجهه إلى يديه وراح يفكر .. واخذ ينقل بصره بين
 السماء والأرض . في هذا المنظر الطبيعي الأخاذ والشمس تملا
 الدنيا من حوله ببريق ضحكتها .. فتلامس أطراف التلال وأغصان
 الاشجار فتمتنع المنظر نظارة وبريقاً وظللاً .. وتفتحت نفس
 أبي طلحة على هذا الجمال وكانه يرى الكون لأول مرة . وجعل
 ينادي يقلبه هذا الجمال من حوله :

أيتها السماء التي لا تدرك عيناي لها آخراء ..

من هو الإله الذي رفعك ..!؟..

أيتها الأرض المسوطة التي لا أعرف لها نهاية ..

آية يد جباره أبدعتك ..!؟..

أيتها الشمس الضاحكة الوهاجة التي تمدد الدنيا بالنور والدفء ..

من هو الإله الذي صنعك ويهيمن عليك ..!؟..

أيها الكون .. من هو ربى الذي خلقني والذي بيده أمري ..

والذي يستطيع أن يخلصني من شقائي إذا أتيحت أمره ..!؟..

أهو هذا رب الذي يدعو إليه محمد والمسلمون معه ..!؟..

وسمع صوتاً عذياً يترنم بحنان وينشد نشيداً غريباً ..

والتفت نحو مصدر الصوت فرأى رجلاً من المسلمين يسعى

وراء أغنامه وهو يرتل بحنو ذلك النشيد الغريب .. لا شك أنه

يرتل آيات من ذلك القرآن الذي جاء به محمد ..

وارهف أبو طلحة سمعه نحو الرجل يتبعين ما يقول :

(يسبح له ما في السموات وما في الأرض له الملك ولهم الحمد
وهو على كل شيء قادر . هو الذي خلقتم فمثلكم كافر ومنكم مؤمن
والله بما تعملون بصير . خلق السموات والأرض بالحق وصوّركم
فاحسن صوركم وإليه المصير . يعلم ما في السموات والأرض ويعلم
ما تسرعون وما تملتون والله عليم بذات الصدور) (١) .

(١) سورة التغابن ، الآية ١ - ٤ .

عينيه .. إنه أمام الله وجهاً لوجه .

الله الذي خشعت له السماوات والارض ..

الله الذي يطّلع عليه الآن من عجل وهو جالس تجاه صنم العزى .

وارتجفت اوصال أبي طلحة وسمع صوت أم سليم يعود إليه :

ـ أما تستحي من الله أن تعبد شجرة ..؟!

وغضي وجهه وأخذ يبكي نادماً خجلاً من ربه .. ثم هبَّ من مجلسه مسرعاً وتناول فاسأله وهو يتتم باكياً :

ـ سبحانك يا رب بيت إليك .. وها هي العزى اقطعها بين يديك .. وأهوى بفأسه على الشجرة تقطيعاً وتحطيراً وهو يقول :

ـ تبا لك ولن عبادك .. ولكل من يعبد غير الله ..

واحش براحة ونشوة تفمران نفسه .. وشعر بأنه يذوق

سعادة ما ذاق مثلها من قبل أبداً .. وردد في نفسه :

ـ حقاً يا أم سليم إن الإيمان بالله هو أغلى من كل مال وجاه .

واسرع لتوه إلى بيت أم سليم :

ـ لقد عرفت طريقي يا أم سليم وإنني أشهد أن لا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله .

الأسرة المؤمنة

وهكذا تزوجت أم سليم من أبي طلحة ..

له درك يا أم سليم ، لقد تزوجت على مهر ما سبقتك إليه
إمراة من نساء العالمين !!!

وصار أبو طلحة بعد ذلك يصحب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ويتعام القرآن منه . وعرف بالجهاد والمسارعة إلى أمر الله
 ورضاه .. حتى لقد كان في موقعة أحد يرمي بالنبل بين يدي
 النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول أنس :

(لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
 وأبو طلحة بين يدي النبي مجوّب «مترس» عليه بمحفنة «برس»
 له وكان أبو طلحة رجلاً راماً شديد القى » اي شديد وتر القوس
 في النزع والمد » يكسر يومئذ قوسين او ثلاثة وكان الرجل يسر و معه
 الجعبة « الكنانة » من النبل . فيقول اثثراها لابي طلحة ، فاشرف
 النبي صلى الله عليه وسلم إلى القوم . فيقول أبو طلحة :
 - يابني الله يابني انت وامي لا تشرف يصبك سهم من سهام
 القوم ، نحرى دون نحرك ..

أرى خدم (خلخال) سو فهمـا تنقران (١) العرب على متوجهـا
تغرغانها في أفواه القوم ثم ترجعـان فتملـانها ثم تجيـان فتفرـغانها في
أفواه القوم . ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة مرتين أو ثلاثة .
وهكـذا كان بلاء أبي طلحة في المعركة وهـكـذا كان يفتـدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنفسـه ... حتى قال النبي عليه السلام عنه:
— (صوت أبي طلحة في الجيش خير من فـته) .

وهـكـذا كان حرص أم سليم على أن تسـاهم في الجهـاد مع
المسلمـين بالقدر الذي تستـطيع ..

ومـا أروع الطفل الناشـيء بين أبوين مجـاهـدين يـشهـدـهما في
الازـمات والـمـعارـك ، فيـرى من إـقامـةـهـ وـتـضـحـيـتـهـ ما يـمـلـأـ قـلـبـهـ
شـجـاعـةـ .. وـيـرىـ من سـعـيـ أـمـهـ وـنـشـاطـهـ وـمـسـاـهـمـتـهـ ما يـلـهـبـ
نـفـسـهـ عـاطـفـةـ ..

إن هذه الدـرـوسـ الـعـلـمـيـةـ التيـ كانـ يـشـهـدـهاـ أـنـسـ وـيـصـفـهاـ كـانـتـ
لـهـ أـفـضلـ مـنـ الـخـطـبـ وـالـمـاحـضـراتـ الرـنـانـةـ عنـ الـجـهـادـ الـتـيـ تـشـدـقـ
بـهاـ نـحـنـ وـنـبـدـيـ القـولـ فـيـهـ وـنـعـدـ ..

وـصـدـقـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ حينـ قـالـ :
(كلـ مـوـلـودـ يـوـلدـ عـلـىـ الـفـطـرـةـ فـابـوـاهـ يـهـودـانـهـ اوـ يـنـصـرـانـهـ اوـ
يـمـجـسـانـهـ) .

(١) تحملـانـ وـنـاـ .

حتى تنفقوا مما تحبون

وكان أبو طلحة من أكثر الأنصار مالاً .. وكان من أحب أمواله إليه بستان من نخيل يسمى بير حاء . ويقع مقابل مسجد النبي عليه الصلاة والسلام . وكان رسول الله كثيراً ما يدخل إليه ويشرب من مائه الطيب .

وبينما كانت أم سليم تشرف على البستان ذات يوم إذا بابي طلحة يقبل نحوها والبتر باد في وجهه .. فتسأله :

ـ من أين يا أميا طلحة ؟

ـ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولقد أنزل الله على نبيه آيات يقول فيها :

«لن تزالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»(١) ..

فتحولت يا أم سليم عن هذا البستان فإنه من أحب مالي إلى وإني قد جعلته صدقة ابتغى بها رضوان الله .

فيتهلل وجه أم سليم ويتلاها سفادة وتقول :

(١) سورة آل عمران ، الآية ٩٢ .

— نعم .. قلت له : (إن أحب مالي إلى بير حاء وإنها صدقة
له تعالى أرجو برّها عند الله فضمها يارسول الله حيث أراك الله) «

— وماذا قال لك رسول الله ؟

— قال لي : (بخ .. « كلمة استحسان » ذلك مال رابع ..
ذلك مال رابع) ..

— قد ربعت والله يا أبا طلحة ومنحت البر والرضا من ربك.

* * *

ومضى أبو طلحة في طريق الحق يبذل ماله ونفسه في سبيل
الله وام سليم إلى جانبه تشد من أزره وتعينه على البذل في
سبيل الله ..

نجوع معاً .. وناكل معاً

ولقد مرت على المسلمين أيام من الشدة والفقر والجوع تفليوا
عليها بالصبر والتعاون والإيثار . وكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كالاب الرحيم بهم يجوع معهم ولا يرضى أن يتفرد عنهم
 بطعم أو شراب .

و يأتي انس يوماً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فـيراه
 جالساً مع أصحابه وقد عصب بطنـه بعصابة .. فيسأل بعض
 أصحابه :

— (لم عصب رسول الله بطنـه ؟) .
فيقولون :

— (من الجوع) .

فيتالم انس ويذهب إلى أبي طلحة ويقول :

— (يا أبا إيه قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عصب
 بطنـه من الجوع) .

— رسول الله قد بلغ به الجوع هذا المبلغ ؟!
تعال معي يا انس إلى البيت لنتظر هل لدينا من الطعام
 ما يكفي لرسول الله واصحابه ..

— يا أم سليم هل لدك طعام ندعوا إلها رسول الله وأصحابه
فتنظر أم سليم فيما لديها وتقول :

— (عندي أفراس من خبز وتمرات . فإن جاءنا رسول الله
وحده أشبعناه وإن جاء آخر معه قل : عنهم ..)
ويبدو الأسف على وجه أبي طلحة ويقول :
— أفراس من خبز وتمرات ؟! فما تصنع بها يا أم سليم ،
ورسول الله يصعب يطنه من الجوع وأصحابه معه لا يجدون ما يمسكت
الجوع عنهم ؟

وتستكث أم سليم مفكرة ثم تقول :
— أرى أن نرسل أنس إلى رسول الله يدعوه ويخبره بما لدينا
من طعام فيختار رسول الله ما يراه مناساً .
— أصبت .. فذلك هو أفضل حل .

وانطلق أنس للدعوة رسول الله .. وبعد قليل عاد ومعه
الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع الناس .. فخجل أبو طلحة
وانقلب إلى أم سليم يقول لها :

— (قد جاء رسول الله بالناس وليس عندنا ما نطعمهم) .
فأجابته بثقة واطمئنان :

— يا أبا طلحة (الله ورسوله أعلم ..) وإن الله لن يخزيك في
أشيائك فإنك تبذل المال والنفس في سبيل الله لا تريد إلا رضاه .

عند ذلك أطهان أبو طلحة وخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستقبلهم ..

وأقبل رسول الله مع أبي طلحة فدخل على أم سليم وقال :
— (هلمني ما عندك يا أم سليم) .

فقدمت له ما عندها . فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا الله أن يبارك فيه .. وصار ياذن للناس جماعة جماعة ، حتى أكلوا جميعاً . ثم أكل رسول الله وأهل البيت وزاد لديهم من الطعام فاهدوه إلى جيرانهم .

* * *

لقد حسر المسلمون على أيام الشدة التي امتحنهم الله بها ..
وواجهوا الامتحان بالعز والذلة والتعاون والإيثار . ففتح الله لهم بعد ذلك أبواب الرزق وورثوا كنوز كسرى وقيصر فوزعوا بين المجاهدين والمحاجين . واقاموا العدل بين الناس وحققوا لهم الحرية والكرامة والرخاء حتى صار موزعو الصدقات في عهد عمر بن عبد العزيز يبحثون عن مستحقى الصدقات فلا يجدون ..

وذلك بفضل تطبيق أحكام القرآن الذي أنزله الله رحمة وسعادة للعالمين ..

أدب اللسان

وتمر الأيام وام سليم سعيدة لأنها قد حققت بيتاً إسلامياً
أسسه التقوى والجهاد في سبيل الله . إنها سعيدة لأنها تربى
أولادها على الإيمان بالله ..

وهذا أنس يغدو على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخدمه
ويتعلم منه القرآن والحديث . لقد كان أنس أملاً كبيراً من آمالها .
وكثيراً ما كانت تفكير فيه وتدعوه الله أن يجعل منها عالماً صالحها
مجاهداً .

ولكن . . . ما بال أنس يتأخر اليوم عليها .. وهل شفطه اللهو
واللعبة مع رفاقه حتى ابطأ في العودة إلى البيت؟!

ووقفت أم سليم أمام باب الدار تتطلع إلى الطريق باحثة عن
أنس فلقة عليه .

وظهر أنس في الطريق مسرعاً نحو البيت .. وما ان اقترب
من أمه حتى سالتنه بغضب :

- (ما حبسك) ولم تأخرت في العودة حتى الان يا أنس ؟

- (اتي علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا العاب مع

الفلمان قسلم علينا وبعثني في حاجته ، فتاخرت عليك يا أمي وارجو
ان تغفر لي ..

فهدات ام سليم عند ذلك وقالت :

— لا عليك يا بني ما دمت في خدمة رسول الله .. ولكن
(ما حاجته) يا انس ؟ .

فخفض انس رأسه وقال :

— (إنها سر) يا أمي ..

وظهر السرور على وجه ام سليم لما رأته من ادب ابنتها وامانته .
ربت يدها على كتفه قائلة :

— (لا تخبرن بسر) رسول الله صلى الله عليه وسلم احذا ..
وتوثر وصية ام سليم في انس ويعلم بها طوال حياته فيعرف
عن الادب والصمت عن اسرار الناس .. لانه قديم من امه ان لسان
الإنسان يجب ان يحفظ وينصان فلا ينطق الا بما ينفع الناس .

حسن التبعل (١) ... !!

ويمرض ابن لها ذات يوم ويتألم له أبو طلحة ، ثم يخرج لاعماله وتبقى أم سليم إلى جانب إبنتها تمرضه .. ولكن الطفل لا يلبث أن يموت بين يديها .. وتتنزق نفس الأم لموت ولدها .. لكنها تصبر وتجلد وتحمد الله وستسلم لإرادته ..

وتفكر أم سليم بزوجها أبي طلحة كيف أنه سيعود من اعماله متعملاً فيستقبل هذا الخبر الاليم .. ولكنها تهتدي إلى رأي .. فترسخ إلى من في البيت وتوصيهم أن :

- (لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا التي تحدثه ..)
- (اكتموا الخبر الاليم عنه حتى االطف في أخباره ..)
- (تعد أم سليم طعاماً لزوجها ، وتتزين في انتظاره ..)
- (أبو طلحة في المساء متعملاً متلهفاً يسأل عن ابنه : ما فعل إبني ..) ؟

(١) جاء في كتاب الإصابة في تاريخ الصحابة في قسم الصحابيات . هذا الحديث من أسماء بنت يزيد أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن الله يبعث إلى الرجال والنساء فاما بك وإن الرجال فضلوا بالجهاد والجماعات وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم فشتاركم في الإجر فقال صلى الله عليه وسلم : « انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل بحداكن » يعدل كل ما ذكرت » . ومعنى حسن التبعل : حسن توجيه الأسرة .

فتتلقاء باتسامتها وهدونها المعهودين :
— اطمئن يا ابا طلحة . . . ا هو اسكن مما كان) .
وتجئه بالطعام فياكل ويشرب ويطمئن ويصيّب منها .
وعندما ترى ام سليم انه قد ارتاح وزال عنه التعب . تقول له :
— ا يا ابا طلحة ارأيت لو ان قوماً اغاروا عاريتهم اهل بيت
فطلبوها عاريتهم ، الهم ان يمنعوهن ؟ . . .

قال ابو طلحة :
— (لا . . .) .

— فتقول ام سليم :
— فإن الله قد استرد عاريتها وأخذها . . . (فاحتسِب إينك) .
واصبر فإن الله قد توقفَ إلَيْهِ .
ويعلم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه القصة من ابي طلحة
فيدعُ الله أن يبارك لهما في ليلتهما وبعوضهما خيراً .
يقول انس :

— « فحملت . . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
وهي معه ، وكان رسول الله إذا أتى المدينة من سفر لا يطرأ لها طرفة
« اي لا يأتيها ليلاً لثلاً يرى من اهله ما قد يكره » . فدُنوا من المدينة
فضرها المخاض ، فاحتبس عليها ابو طلحة وانطلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

يقول ابو طلحة :

— إنك لتعلم يارب انه يعجبني ان اخرج مع رسول الله إذا
خرج وادخل معه إذا دخل وقد احتبس بما ترى !

فانطلقتا .. وضربيها المخاض حين قدمما فولدت غلاما .

فقالت لي أمي :

— يا انس لا يرضعه احد حتى تغدو به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه تمرات . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

— امعه شيء ؟

قال انس :

— نعم تمرات .

فأخذها النبي فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في « قم » الصبي ثم حنكه « ذلك فكيه بالتمر المضوغ » وسماه عبد الله .
فقال رجل من الاتنصار :

— (فرأيت تسعة اولاد كلهم قد قرأوا القرآن — يعني من اولاد عبد الله المولود) .

* * *

لقد نجحت أم سليم في تنشئة اولاد واحفاد يحملون القرآن ويدعون الناس إليه ويعاهدون لإعلاء كلمة الله .

وحتى في المعركة !!

تلك هي أم سليم الزوجة المؤمنة الناجحة .. والام المربيه المجاهدة . ولبست هذه كل صفاتها .. بل إنها كانت الصحابية المناضلة التي تصحب النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجها في اسفاره وتخرج للجهاد مع زوجها في غزواته لتقديم خدماتها للمجاهدين ومساعدتها للجرحى .

شهدت موقعة أحد وفتح مكة و يوم حنين .. ولقد كانت لها مواقف من الثبات عجز عنها الرجال .

ففي يوم حنين .. لما فاجأات قبيلة هوازن المسلمين بكمين لها في متحنيات الوادي .. وفوجيء المسلمون بليل من النبال ينهم عليهم من كل مكان .. وترعرعت الصحف وانهزم المسلمون هاربين لا يلوون على شيء . ووقف النبي الكريم يدعوهم وبناديهم :
- (اين ايها الناس .. هلعوا إلى) .. أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ..) .

لكن صوته الکريم ضاع في جنبات الوادي بين صخب الرجال وتدافعيهم في الهرب وصيحات الخوف الصادرة عنهم في ذلك اليوم العصيب الذي وصفه الحق تعالى في القرآن الکريم :

في ذلك اليوم ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأمر النبي عمه العباس أن ينادي :

— (هلموا يا معاشر الانتصار الذين آتوا ونصروا .. يا معاشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ..) .

فاندفع فريق من المهاجرين والأنصار يلبون النداء :

— (لبيك يا رسول الله ..) .

وترکوا إيلهم اللذورة وأسرعوا يرمون بأنفسهم إلى الموت تلبية للنداء الحبيب .

و ضمن هذا المول الذي هز النقوس وشتت الصفوف .. ومن بين وابل النبال المتساقط .. يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم فيرى أم سليم مع زوجها أبي طلحة تقف قريبا منه بثبات وقد أمسكت بزمام جمل لأبي طلحة .. فيتعجب النبي من وقتهما .. ويقول :

— (أم سليم .. !؟) .

— (نعم بابي انت وأمي يا رسول الله .. اقتل هؤلاء الذين يغرون عنك كما قتلت هؤلاء الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل ..) .

في نهاها النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك برق قائلًا :

— إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم)

ويلمع أبو طلحة بريق خنجر في يد زوجته فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم :

— (هذه أم سليم معها خنجر !)

فتقول :

— (اتخذته .. إن دنا مني أحد الشركين بقرت به بطنه) .

وتشتبث الفتاة المخلصة حول النبي صلى الله عليه وسلم ..
ويقتحم المؤمنون بقيادة نبيهم الكريم صفوف العدو بإقدام يطلبون
النصر أو الشهادة في سبيل الله ، فيرسل الله جنوداً من عنده
لتاييد المؤمنين ..

وتتحول دفة المعركة وينتصر المسلمون بعون الله وثباتهم
وصبرهم .. ينتصرون بعد أن لقائهم الله درساً بلباً في الحذر
والتواضع له وحسن التوجه إليه .

خاتمة

وهكذا كانت أم سليم مثلاً للبطولة في جميع مجالات الحياة في المعارك الحربية ، وفي معارك الحياة اليومية فالحياة كلها تحتاج إلى حذر وجهاد وصبر وثبات من المؤمن ، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرها بالجنة فقال : (رأيت الرميساء « وهو لقب لها » في الجنة) .

تلك هي أم سليم ..

فتأملوا كيف يصنع القرآن بالنقوس وكيف يرتفع بها إلى أعلى المراتب والدرجات .. ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال :

« إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع آخرين » .

فيرتفع من يفتح قلبه وعقله للقرآن في كل زمان . ويهبط من يعرض عنه ويتركه مفتراً بمหลذات الدنيا ولهوها وعيتها وزيتها .

* * *

انتها المرأة المؤمنة ..

ذلك هو الدور الذي قامت به المرأة المؤمنة الاولى في بناء المجتمع الرباني .. إنها لم تتحفظ إلى دور الدمية إلا عندما انحدر المجتمع المسلم من مرحلة العقل إلى مرحلة الفريزة .. وبدأت حضارته بالافول .

فحربي بك الآن أن تجددني ذلك الدور العظيم وتعضي قدماً
بواجبك بنتاً ، واختاً ، وزوجة ، ومربيّة ، وربة بيت ، وداعية
إلى الله ... تتغين بذلك كله رضوان الله وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين .

